تعريف علم العروض وبيان الحاجة إليه وموضوعه وواضعه وأهمية دراسته

بحث في مادة العروض

إعداد/ أحمد محمد عيسى
قسم اللغة العربية
كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
ahmed.mahdey@mediu.ws

خلاصة—هذا البحث يبحث في تعريف علم العروض، وبيان الحاجة إليه، وموضوعه، وواضعه، وأهمية دراسته.
الكلمات المفتاحية: علم العروض، موضوع علم العروض، واضع علم العروض، وأهمية علم العروض.

I. *المقدمة*

الشعر ديوان العرب، الذين هم جهابذة البيان وفرسان الفصاحة، وهو فن يصدر في الأصل عن الموهبة والطبع، ويتنامى بالمران، ويترعرع بالاطلاع والثقافة، والأساس فيه العاطفة والوجدان، ومفتاح النغم فيه الوزن والقافية.

II. *موضوع المقالة*

علم العروض وأهميته:
الشعر ديوان العرب، الذين هم جهابذة البيان وفرسان الفصاحة، وهو فن يصدر في الأصل عن الموهبة والطبع، ويتنامى بالمران، ويترعرع بالاطلاع والثقافة، والأساس فيه العاطفة والوجدان، ومفتاح النغم فيه الوزن والقافية، فبدونهما يصبح الكلام نثرًا لا شعرًا، وما طرَبُنا لقصيدة رائعة إلا انعكاس فكرتها وإيقاعها الموسيقي، وقد يدرك السامع المرهف الحس بذوقه وشعوره عدم انسجام بيت معين من قصيدة معينة مع الإيقاع العام للجرس الموسيقي في القصيدة - إذا كان في هذا البيت كسر أو اضطراب- ولكنه لا يستطيع تحديد هذا الاضطراب وموضعه؛ لأن ذلك يقتضي الإلمام بعلم «العروض والقوافي»؛ فهو العلم المعنيُّ بضبط القوالب الموسيقية وحصرها، وبيان ما يجوز أن يدخل أجزاء هذه القوالب من تحوير بزيادة أو نقص لا يخل به النغم، وما يمتنع من ذلك لأنه يخل به، ويخدش أذن الشاعر المطبوع، وبدهي أن من يتكلف نظم الشعر بالعروض يشق ذلك عليه، ويأتي به سمجًا ممجوجًا، يحمل سمات التكلف وأمارات مكابدة المشقة، وما أجمل قول أبي فراس الحمداني:

تناهض الناس للمعالي
لما رأوا نحوها نهوضي
تكلفوا المكرمات كدًّا
تكلف النظم بالعروض

فالإبداع الشعري لا بد له من طبع سليم وعبقرية مواتية إلى جانب رهافة السمع ورفعة الحس الموسيقي.. إن حاجة الشاعر إلى معرفة علم العروض ملحة، وحاجة الناقد إلى هذا العلم أشد إلحاحًا، فالحاجة ماسة وداعية إلى معرفة الوزن وما يجوز من الزحاف في كل بحر وما لا يجوز، فقد وقع في ذلك جماعة من كبار العرب كالمرقش والمهلهل وعبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد وسُلَميّ بن ربيعة، وجماعة من كبار المحدَثين كأبي العتاهية والبحتري والمتنبي؛ وحسبك بوقوع مثل هؤلاء الفحول في الخروج عن الوزن، وإذا اتفق مثل هذا لمثل هؤلاء فما ظنك بغيرهم؟!

يطلق العروض، في اللغة على «الناحية» من قولهم: أنت معي في عروض لا تلائمني. أي في ناحية، ومنه قول الشاعر:

فإن يعرض أبو العباس عني
ويركب بي عروضًا عن عروض

و«الناقة الصعبة المراس» التي تعترض في سيرها، من قول العرب: «ناقة عروض»، و«الطريق الصعبة» التي في الجبل، ومكة المكرمة قيل: إن الخليل أسماه بها تبركًا؛ لأنه طلب أن يفتح الله له بهذا العلم، وكان ذلك عندها.. والعروض على هذا مؤنثة لاشتقاقها، ومن الباحثين من يشتقها من «العَرْض»؛ لأن الشعر يعرض على هذه الأوزان، فما وافقها كان صحيحًا، وما خالفها كان سقيمًا، وعلى هذا تكون مذكَّرة.

أما في الاصطلاح: فهو العلم بأوزان العرب الشعرية ولواحقها من زحافات وعلل، وهو -لذلك- المقياسُ الذي يعرف به صحيح أوزان الشعر وفاسدها، وكيف لا؟ وهو يدرس أوزان الأبيات داخل القصيدة؛ لمعرفة النغمة التي تسير عليها، أو البحر الذي صيغت على تفعيلاته، ومدى توفيق الشاعر في الوفاء بمستلزمات هذا البحر الشعري، وبيان ما يمكن أن يدخل تفعيلاته من زيادة أو نقص، لا تتأثر بهما موسيقاه، وما يمتنع من ذلك لإخلاله بالموسيقى.

فهو بلا ريب علم الهندسة الموسيقية الذي ترافقه الإيقاعات المنتظمة في آخر الموجات النغمية من القول للربط بينها، يقول الجوهري: «العروض ميزان الشعر، وهي ترجمة عن ذوق الطباع السليمة» ويقول الجاحظ: «العروض ميزان الشعر ومعياره، وبه يعرف الصحيح من السقيم والمعتل من السليم، وعليه مدار القريض من الشعر، وبه يسلم من الأود والكسر».

إن كلمة «الميزان» تعني الدقة في الوزن، ومن ثم فإن العروض القديم جاء من الدقة بحيث يفرق في البحر الواحد الأنواع التي تولدها اختلاف الأعاريض والأضرب، ومن ثم جاء يحمل ستة عشر بحرًا متفقًا عليها، ويضم ما يصل إلى ست وثلاثين عروضًا، وستة وستين ضربًا.

وهو تنوع فرضته الدقة التي اعتمد عليها الخليل في استنباطه لهذه الأوزان مما نظم العرب عليه، وحتى التفاعيل التي ترد في سائر البيت من غير العروض والضرب تعتريها الزحافات والعلل، إلى غير ذلك مما أوضحه الخليل، وأكثر من هذا ذهب الخليل إلى ابتكار الدوائر التي تتركز أهميتها في الدلالة على طبيعة البحث الرياضي عند الخليل وطريقة الاستنتاج للأوزان.

وواضح أن العروض كميزان للشعر يعتمد في المقام الأول على الوزن بالنغم الصوتي الذي يقوم على الحركة والسكون، ومن ثم يهمل كل ما يكتب ولا ينطق، فلا يجعل المقياس عدد حروف البيت الشعري بعدد حروف البحر العروضي، وإنما يجعل المقياس عدد حركات وسكنات البيت الشعري، أي ما يظهره النطق بعدد حركات وسكنات البحر العروضي متمثلًا في تفاعيل البحر، لذلك أصبح التنوين حرفًا في العروض، وأهمل ألف الوصل مثلًا، وهذا يفسر لنا قدرة العربي في الجاهلية على الوزن بهذه المقاييس؛ لأنها تعتمد على الترنم والنغم الصوتي، لا على الكتابة وما تشتمل عليه من الحروف، ولأنها كانت تعتمد على الأذن الموسيقية لمتابعة الانسياب النغمي والصوت النشاز إن طرأ في القصيدة، ثم لأن الرواية كانت هي الأساس في نقل أشعار العرب، فتمثلت النماذج التي ينظم عليها صورًا عروضية في أذهانهم.

أول من اخترع العروض هو : الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي المتوفى سنة سبعين ومائة من الهجرة، وكان أستاذًا نابهًا في اللغة والنحو وعلوم العربية، إلى جانب تمكنه من علم الموسيقى والإيقاع، وعليه تتلمذ سيبويه . والخليل صاحب كتاب «العين» وهو أول معجم عربي أيضًا.

سبب تأليف العروض: وجد الخليلُ الملكاتِ العربيةَ تتضاءل، والشعراء المحدثين ينظمون على أوزان لم تسمع عن العرب، ولا يعرفون الصحيح من غيره، بعد أن خانهم الطبع، وضعفت الملكات، وكان الخليل صاحب ذوق موسيقي أخاذ- فاستقرأ أشعار العرب وتتبعها، وحصرها في خمسة عشر بحرًا، ووجدها لا تخرج عنها؛ ثم زاد الأخفش الأوسط عليها بحرًا آخر؛ وهو «المتدارك».

ثم ألف في العروض بعد الخليل كثير من العلماء، أشهرهم : المفضل الضبي المتوفى ١٨٩هـ، والأخفش - الذي استدرك على الخليل البحر السادس عشر- المتوفى ٢١٦هـ والمازني المتوفى ٢٤٧هـ، والسيرافي المتوفى ٣٦٩م.

كثر المؤلفون وتوالت المؤلَّفات على امتداد الأجيال، ولكن لا بد من كلمة عرفان واعتراف، فعلم العروض منذ أن وضع قوانينه الخليل بن أحمد لم ي طرأ عليها تغيير جوهري حتى الآن، فلا زالت أجزاء البحور هي : «التفعيلات» ولا زالت الوحدات الأولى للتفعيلات هي «الأسباب والأوتاد» ولا زال عدد البحور ثابتًا «ستة عشر بحرًا» شاملًا البحور الخمسة عشر الخليلية، وبحر المتدارك الذي زاده الأخفش تلميذ الخليل، وهذا إنم ا يدل على أصالة العلم الذي ابتكرته عبقرية الخليل الفذة.

«وقد أذن الله للعروض أن يشرق كالشمس جملة واحدة من مشكاة عباب النحو وإمام اللغة (الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري) الذي ابتدع العروض بما أصفاه الله به من مواهب شتى».

وكان من الفنون بحيث يقضي
له في كل فن بالجميع

من ذلك علمه بفن النغم والموسيقى إلى ما فطر عليه من ذكاء نادر وذهن حاضر، أعانه ذلك على استيعاب مسائله ومطالعة الناس به وافيًا شافيًا، حيث لم يسبق إليه، ولم يستدرك خلَفٌ عليه فيما نعلم، ويعلم الكرام الكاتبون، إلا ما أضافه حفيده في العلم الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه من بحر الخبب الذي سماه المتدارك، ولعل الخليل رحمه الله صدف عنه؛ لعزوف الشعراء المجيدين عن سرابه....

في لجة البحر ما يغني عن الوشل

أهمية دراسة علم العروض:

للعروض فوائد لا غنى عنها لمتعلق بالعربية وآدابها بوجه، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١- تربية الإحساس بالأوزان، وتساوق اطراداها النغمي، بقراءة الشعر قراءة قويمة، وتوقي الأخطاء الممكنة بعدم الإلمام به.

٢- الوقوف على ما يتسم به الشعر من انسجام الوزن، وتآلف النغم، ولذلك يد في غرس الذوق الفني، وتهذيبه.

٣- التأكد من معرفة أنَّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ليسا شعرًا، معرفة دراسة لا تقليد؛ فالشعر مطرد الوحدة الإيقاعية لزامًا، وكذا إدراك أنَّ ما ورد منهما في شيء على نظام أنساقه الوزنية لا يحكم عليه بكونه شعرًا، لعدم قصده، قال ابن رشيق : (لأنه لم يقصد به الشعر، ولا نيته، فلذلك لا يعد شعرًا، وإن كان كلامًا متزنًا).

٤- أن يأمن المولدون من الشعراء على شعرهم التغيير الذي لا يجوز دخوله فيه كالقطع في الأسباب وغيره من التغييرات المختصة بموطن دون آخر.

٥- فقه ما يرد في التراث الشعري من مصطلحات عروضية؛ لا يعيها إلا من له إلمام بالعروض ومقاييسه؛ كقول عدي بن الرقاع:

وقصيدة قد بت أجمع بينها
حتى أقوِّم مَيْلَها وسِنادها

وقول جرير:

فلا إقواء إذ مرس القوافي
بأفواه الرواة ولا سنادا

وقول جندل الطهوي -في مدح أشعاره:

لم أقوِ فيهن ولم أساند

وقول ذي الرمة:

وشعر قد أَرِقْت له غريب
أجنبه المساند والمحالا

وللعروض فوائد جمة، من ها: تمييز الشعر من غيره كالسجع مثلًا .. وحاجة الشعراء بعامة والمولدين الذين ضعفت سلائقهم بخاصة إليه كبيرة؛ فهو يؤمنهم من اختلاط بحور الشعر بعضها ببعض، ومن كسر الأبيات واضطرابها .. وأهميته القصوى للنقاد ودارسي الشعر ومحققي دواوين الشعر العربي.. وقوانين العروض علمية تكتسب بالتعلم..

المراجع والمصادر

١ - الأسعد، عمر الأسعد، أهدى سبيل إلى علمي الخليل، معالم العروض والقافية، الوكالة العربية للتوزيع، ١٩٨٤م.
٢ - ابن عصفور، ضرائر الشعر، تحقيق : السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس - بيروت ١٩٨٠م.
٣ - التبريزي، الخطيب التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٢م.
٤ - سالم، أمين عبد الله سالم، عروض الشعر العربي بين التقليد والتجديد، ١٩٨٥م.
٥ - السيرافي، ضرورة الشعر، تحقيق : رمضان عبد التواب، دار النهضة ١٩٨٥م.
٦ - الضبع، يوسف الضبع، الرِّياض الوافية في علمي العروض والقافية، دار الحديث - القاهرة ١٩٩٨م.
٧ - المبرد، القوافي، تحقيق : رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٧٢م.
٨ - مناع، هاشم صالح مناع، الشافي في العروض والقوافي، دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٣م.
٩ - الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الكتب العربية - بيروت ١٩٩٠م.
١٠ -الهاشمي، محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، ١٩٩١م.